



جدل الانتماء... مواطنة الشباب العربي الموازية في زمن فايسبوك

The affiliation controversy... Parallel Arab youth citizenship in Facebook time

عبد الحليم عمارة.

جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر) amaraabdelhalim@univ-khenchela.dz

تاريخ النشر: 2023 / 06 / 30

تاريخ القبول: 2023 / 06 / 02

تاريخ الاستلام: 2023 / 04 / 14

ملخص

بما أن الشباب هم الفئة الأكثر استخداما للتقنيات الحديثة في الاتصال ، فان تفاعلهم مع مضامين الإعلام أكثر من تفاعلهم مع المحيطين بهم، لذا كان لابد من معرفة اتجاهات الشباب نحو وسائل الإعلام المختلفة ومعرفة آثارها خاصة على انتمائهم عند هذه الفئة المهمة من المجتمع، فقد أصبح الشاب يبحث عن واقع بديل يحمل لهم بعض الإحساس بالحياة وبعض الإشباع بدلاً من حياته الحالية ، وهذا ما أوجد نقله سلوكية خطيرة لدى الشباب بحكم طبيعته ونظرتهم المستقبلية التي لا تستطيع التكيف الكامل مع المجتمع الواقعي في الحاضر، الأمر الذي يجعل الهروب إلى المجتمع الافتراضي ذا أهمية بالغة وهذا ما توفره وسائل الإعلام الجديدة بمختلف أشكالها وخاصة فايسبوك، ومن خلال هذا وذلك سوف نتطرق في هذه الورقة إلى الاهتمام بما يقدمه الإعلام الجديد وبخاصة موقع فايسبوك، وتتبع الآثار التي يتركها ومضامينه على انتماء ومواطنة الشباب العربي.

الكلمات المفتاحية: الانتماء – المواطنة – فايسبوك- الشباب العربي.

Abstract

Given that youths are the most users of ICT's, their interaction is the largest, so it was necessary to know their attitudes to media and it's effects on their affiliation, so young man examines for alternative reality which carries them some sense of life and some gratification instead of the current life, and that's what a found serious behavioral among them by its very nature and future outlook that can't fully adapt to the real society in the present, that makes them escape to a virtual community of great importance and who provided by new media in, especially Facebook. Through this and that we will address in this paper to follow the effects and implications of Facebook on the affiliation and citizenship of the Arab youth.

Keywords: Affiliation - citizenship - Arab youth – Facebook

مدخل

حظي مفهومي الانتماء والمواطنة باهتمام كبير من قبل الباحثين في مجالات عدة كعلم النفس والسياسة، والاجتماع وغيرها، لا سيما في أعقاب الثورات العربية التي شهدتها العالم والتي جعلت الأفراد والجماعات في المجتمعات النامية عرضة للتأثر بثقافات الدول المتقدمة ذات القدرات التقنية والمالية الهائلة، التي مكنتها من الهيمنة على وسائل الإعلام، وبالتالي نشر قيمها والترويج لسياساتها، والدعاية لأهدافها، مستهدفة شعوباً بأكملها إذا ما اقتضت مصلحتها ذلك. (حمدونه، - 12-13 فيفري 2013)

يتجه العالم إلى الديمقراطية وخاصة هذه الأيام في ظل الربيع العربي، وهذا يفترض على الدول الاهتمام بالتربية السياسية ويعتبر موضوع الانتماء من ابرز الموضوعات في مجال التربية السياسية، إذ لم يعد الصراع بين الدول صراعاً عسكرياً مسلحاً بقدر ما أصبح صراعاً حضارياً وثقافياً وسياسياً، ويأتي الاستقطاب الثقافي والفكري والسياسي في مقدمة ذلك الصراع، ومن ثم اهتمت الدول بالعمل على تحصين أطفالها وشبابها وتأهيلهم سياسياً ضد محاولات الغزو والاستقطاب الخارجي، وكذا تأكيداً للهوية الوطنية وتعميقاً للانتماء والولاء.

و تبرز اليوم أهمية الانتماء والمواطنة، من أجل الحفاظ على الهوية الخاصة بكل مجتمع في ظل ما يهددها من أخطار، وهذا لا يعني أن الحل يكمن في الانكفاء على الذات، والابتعاد عن العالم الذي أصبح قرية صغيرة، إنما يعني إكساب المناعة لكل فرد من خلال تربيته وتربية وطنية تركز على تزويده بالمعارف، والقيم، والمبادئ والمهارات التي يستطيع بها التفاعل مع العالم المعاصر دون أن يؤثر ذلك على شخصيته الوطنية. (نادي، 2012، صفحة 222)

ويعقد الكثير من المفكرين والباحثين الأمل على جيل الانترنت في تجديد الأنظمة السياسية الديمقراطية التي تعاني اختلالات ومن بينهم فيدال الذي يرى أنه من خلال تبسيط تدفق المعلومات وتسهيل التفاعل بين الأفراد، تتيح الشبكات الإلكترونية للمواطنين المشاركة بنشاط أكبر في حياة العامة وبالتالي تعزيز الديمقراطية، كما يمكن للانترنت أن تساهم في إخراج المجتمع المدني من دائرة مأزق العلاقة المتوترة بينه وبين المجتمع السياسي، فجيل الانترنت حمل معه بداية ديمقراطية الحياة السياسية وظهور مجالات عديدة للتعبير الحر وللتفكير الناقد والالتزام بقضايا وطنية فضلاً عن تبادل المعلومات والأخبار وجلب التضامن والتعاطف للقضايا العادلة، فان الانترنت ستعطي نفساً جديداً للديمقراطية تماماً مثلما التلغراف في القرن 19، الانترنت بفعل التطبيقات الجديدة التي وفرت نشوة اتصالية غير مسبوقه تمكن الفرد من التخاطب مع أكثرية الناس دون عناء بكل حينية وسرعة المطلوبتين في التفاعل والتجاوز. (حمزة، 2015).

ولا بد من الاعتراف بأن الشباب العربي هو أكثر فئات المجتمع تأثراً بعمليات الغزو الثقافي؛ نتيجة للانفجار المعرفي الهائل، وتطور وسائل الإعلام، وبالذات الفضائيات التي توصف وسائل الإعلام بوصفها الراهن إذا تمثل

متغيراً اجتماعياً، وثقافياً مهاماً في حياة الشباب ، فهو المصدر الرئيس للمعلومات والتعلم وهو أحد مصادر عمليات تشكيل الوعي الاجتماعي في عصر العولمة الإعلامية.

وقد برز نقاش واسع في موضوع المواطنة وعلاقتها بالتقنية الرقمية، في ظل وجود جيل يتعرع مع التقنية، فهل تصبح جزءاً من تربيته على المواطنة. باعتبار أن التقنية الرقمية جزء من المتغير الثقافي، وعلاقة المواطن بمجاله العمومي، وكيف يتأقلم مجاله العام مع المواطنة الرقمية في مجتمع تكون الشبكات (وعلاقتها التفاعلية)، جزءاً أساسياً من نسيج علاقاته حاضراً، مع الصعود والتطور الكبير لدور شبكات التواصل الاجتماعي Social Media في التفاعل بين الأفراد، ونشر الآراء والأفكار بينهم، والتأثير في الرأي العام وغيرها.

وتكمن أهمية هذه الورقة البحثية في محاولتها أن تنحو في نفس المنحى، من خلال تسليط الضوء على جانب من جوانب التأثير الذي أحدثته تقنيات الاتصال الجديدة على مواطنة الشباب ، وكيف تساهم في تطوير مقومات المواطنة ومدى تأثيرها على انتماء الشباب العربي، إضافة إلى إفرازاتها الجديدة على المشاهد السياسية، ولدراسة الموضوع بشكل جيد و ملم و من أجل الإجابة على التساؤل الرئيس للورقة: "المتمحور حول الكيفية التي ساهمت بها مخرجات الإعلام الجديد وبخاصة فايسبوك في ممارسة المواطنة في ظل الظروف الحالية التي تشهدها المجتمعات العربية / ومدى مساهمتها في تحيين الانتماء وجعلها مواكبة لهذا التطور، إضافة إلى محاولة معرفة أم التحولات التي طرأ على مقوماته ؟.

أولاً: زمن فايسبوك طغيان على المشهد الاتصالي.

يعد موقع Facebook من أكثر المواقع شعبية لطلاب المرحلة الثانوية والجامعية في السنوات الحديثة، فهي خدمة اتصال جماعية تم بناؤها عام 2004 بواسطة شاب أمريكي يدعى مارك زوكربيرج Mark Zuckerberg وكان عمره وقتها 23 عاماً، درس في جامعة هارفارد Harvard الأمريكية الذي خشي أن يكون إدمانه للانترنت سبباً في عزله الاجتماعي، وانقطاعه عن المجتمع، وتواصله مع الناس فقرر أن يخلق مجتمعا من الأصدقاء على الانترنت من خلال إنشاء موقعا يتقابل فيه أصدقاء الجامعة أن موقع ال Facebook كان منذ فترة قريبة قاصر على الجامعة والطلاب، لكنه امتد بعد ذلك في السنوات الأخيرة منذ عام 2006 ليشمل الشركات، وتحول إلى احد أهم المواقع العالمية خلال سنوات قليلة. فالأفراد يشتركون في الموقع في سياق المكان (الجامعة أو الشركة) عن طريق إنشاء Profile خاص بهم، ومن ثم يقومون بالمشاركة في الأنشطة الموجودة على هذا الموقع والتعرف على الأصدقاء وذلك من خلال إرسال رسائل أو وضع صورته وصور أصدقائه وعائلته وان يكتب هواياته وأنشطته وبعض التفاصيل الشخصية مثل الكتب المفضلة، والاهتمامات السياسية وهكذا ومقارنتها بأعضاء الموقع. وتم استخدام هذا الموقع من قبل المراهقين والشباب. ويعد موقع ال Facebook ثاني اكبر شبكة اجتماعية على الانترنت وهو واحد من أسرع وأفضل المواقع على الانترنت اليوم، ولديه أكثر من 1.55 مليار مستخدم نشط شهري ، وقد حاول الموقع تمييز نفسه عن منافسيه الآخرين من المواقع الاجتماعية الأخرى مثل (Myspace, Friendster, Flickr) وذلك بوضع قواعد أخلاقية لتصميم ال Profile الخاص بكل فرد، وحدود لكيفية تغيير المستخدم لل Profile الخاص به والتحكم في رؤية الملفات والمعلومات الشخصية

المتاحة. ويرجع سر نجاح ال Facebook في قدرته على تصنيف أعضائه، وليس مجرد ربطهم ببعض، فقد استطاع هذا الموقع أن يجمع كل مميزات التواصل على الانترنت مثل ال Chat والمنتديات ال Forums والمدونات ال Blogs بل وأن يضيف إليها الكثير. (خضر، 15-17 فبراير 2009).

وفي آخر تقرير أصدرته فايسبوك عن الربع الثالث و التي بينت استمرار نمو المنصة بنسبة 45% سنة بعد أخرى، بالإضافة إلى ذلك فإن فايسبوك لديها الآن 1.39 مليار مستخدم نشط شهرياً على أجهزة الهاتف، وبلغ معدّل عدد المستخدمين يومياً 1.01 مليار في شهر أيلول/ سبتمبر من عام 2015، بنسبة زيادة سنوية مقدارها 17%، وبلغ عدد المستخدمين يومياً من خلال الهواتف 894 مليون في شهر سبتمبر، بنسبة زيادة سنوية مقدارها 27%، كما بلغ عدد المستخدمين شهرياً 1.55 مليار، بنسبة زيادة سنوية مقدارها 14%، ووصل عدد المستخدمين شهرياً من خلال الهواتف 1.39 مليار، بنسبة زيادة سنوية مقدارها 23%، وارتفعت نسبة عائدات الإعلانات على الهواتف 78% من مجمل عائدات الإعلانات الكلية خلال الربع الثالث محققة قفزة مقارنة بنسبة الربع الثالث لعام 2014 و التي بلغت 66%، وأشار التقرير إلى أن مقدار العائدات بلغ 4.50 مليار دولار و 0.57 دولار لكل سهم أي 40% أكثر من نفس الفترة في العام الماضي. فهذه الأرقام تعد مهرة خصوصاً إذا ما قارناها بتويترو التي لا زال عدد مستخدميها يبلغ 320 مليوناً تقريباً. (فايسبوك تصدر تقريرها)

أبرزت شبكة فايسبوك ظاهرة جديدة وهي قادة الرأي الجدد ونخبة جديدة بعضها معلوم الهوية وبعضها مجهولة تختبئ في الغالب وراء أسماء مستعارة، هذه النخبة التي صنع منها فايسبوك قادة جدد بفعل قدرتهم على التواصل هم عبارة عن أفراد " مهمشين " في الإعلام التقليدي لم يجدوا مكانا في الفضاءات الواقعية فكان فايسبوك فضائهم البديل بإنشاء صفحات تتعاطى مع الأخبار بطريقة شعبية وتنتج خطابات شعبية استطاعت من خلالها اكتساب شعبية كبيرة على فايسبوك تسيطر على الرأي العام الافتراضي وتدير النقاش من خلاله، ونذكر على سبيل المثال صفحة راديو طرطور التي اكتسب شهرتها من خلال أسلوبها الساخر واللاذع في التعاطي مع قضايا الشأن العام، ونفس الأمر بالنسبة لصفحة شبكة رصد وغيرها من الصفحات التي تهتم بالقضايا السياسية .

لقد أصبح فايسبوك جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية لمستخدميه وخاصة الشباب، وأصبح تأثيراته تمتد لتشمل العديد من مناحي الحياة المختلفة، كما أن فايسبوك أصبح أكثر تأثيراً على المستوى الاجتماعي والثقافي، وحسب دراسة في جامعة تكساس الأمريكية فان فايسبوك أصبح ظاهرة إلكترونية تستحق الدراسة والبحث، خاصة وانه يجعل الفرد يفقد صلته بالواقع المعاش ويؤثر على علاقاته الاجتماعية بالمحيطين به.

وفايسبوك أصبح أكثر تأثيراً من المسجد والأسرة والحي في بناء هوية الفرد ففي دراسة عطوي وحسناوي يوافق ما نسبته 41.9% على ذلك، بينما لا يوافق ما نسبته 32.3% على ذلك في حين يلتزم ما نسبته 25.8% الحياد، يؤكد اغلب أفراد العينة على فايسبوك أصبح اليوم أكثر تأثيراً في هوية وقيم الفرد من المؤسسات الاجتماعية الأساسية كالمسجد والأسرة، وبالتالي يمكننا القول أن تراجع دور هذه المؤسسات سمح بتزايد نفوذ فايسبوك. (حسناوي، 2014، صفحة 293)

إن الغالبية العظمى مما يُتداول على فيسبوك، خصوصاً في الفترة التي سبقت الانتفاضات الشعبية العربية لم يتعد في غالبيته العظمى التحيات وتعبير الأفراد عن حالاتهم المزاجية أو الانطباعات والأخبار، وتبادل التهاني في المناسبات، مما لا يمكن لأية جهة أمنية أن تجد فيها ما يجدي، مع التأكيد على أن انتهاك أي حق من حقوق المواطن في الخصوصية هو بالتأكيد مرفوض، خاصة إذا ما تنافر مع حقه المنصوص عليه في دستور بلاده، فليس في هذا أي مجال للنقاش، فالأجدى هنا هو المطالبة بإلغاء القوانين الاستثنائية في الدول العربية التي تفرض حالات الطوارئ وماشابهه، وبشكل عام فإن استخدام شبكة الإنترنت بشكل عام ينطبق عليها ما ينطبق على الطبيعة السائدة في دولة ما، بل ويمكن في الحقيقة لشبكة الإنترنت أن تكون مقياساً مهماً لمدى تمتع الدولة بحرية التعبير، وبأي قدر، بعيداً عن الشعارات السياسية التي ترفعها العديد من الدول الديكتاتورية أو السلطوية بينما هي تمارس ممارسات مختلفة تماماً. (إبراهيم، 2014، صفحة 24).

ثانياً واقع الشباب العربي

في واقع الأمر، يعيش الشباب العربي أزمة ما يسمي بالتغيير، حيث يواجه الشباب العربي العديد من الظواهر السلبية التي تتعلق بالمحيط الاجتماعي الذي تسوده جملة من القيم الرديئة، والتناقض الثقافي والفوضى الاقتصادية، والفقر، والتسلط، والانحراف بكل صوره وأشكاله وأنواعه، في عصر تتزاحم فيه وسائل الإعلام وشبكات الإنترنت على بث أكبر قدر ممكن من المعلومات المختلفة وفي ظل سياسة الانفتاح وفي عصر الإعلام المعولمة يمكن مشاهدة ومتابعة ما يجري بسهولة، وفي ظل محاولات أصحاب القوة والنفوذ نشر أفكارهم وتسويق توجهاتهم، أصبح الشباب أكثر عرضة للتيارات المتلاطمة والأفكار المتناقضة والمعلومات المتجددة التي أصابت قدرتهم على تحديد خياراتهم وأولويات مجتمعهم واحتياجاتهم، مما يجعلهم يستمدون من هذه السماوات المفتوحة، وسلوكهم، وتمط تفكيرهم، أسلوب حياتهم بحيث يصبح التقليد والمحاكاة لمظاهر الحياة الغربية نمطاً اجتماعياً سائداً في حياتهم اليومية، وسلوكاً متحضراً في عملية التثقيف. (البياتي، 2001، صفحة 116).

فالتفكير الجماعي في حل المشاكل من خلال فتح نقاشات عامة تستوعب كل الآراء والأفكار، ومختلف التشكيلات الاجتماعية يقوض كثيراً من طباع الفردية والعزلة والإحباط وعدم تماسك النسيج الاجتماعي والاعترا، فالتواصل بمضمونه الرقمي التشاركي أفقياً وعمودياً يشكل أسس انبعاث الانتماء إلى الجماعة والوطن ويعيد له هويته الحقيقية، التي ضاعت مع كدمات واكراهات العصر والبيئة التقليدية، وبفضلها يمكننا الوصول إلى حقائق متفاهم بشأنها.

من المؤكّد أنّ الحال التي عليها المجتمع العربي والإسلامي، مع هذا التلّقي السّلبيّ لكلّ ما يفد من الخارج من المواد الإعلامية؛ له أثر في تحديد البون الشّاسع بين ثقافتنا وثقافة الغرب، فالفرد العربيّ - خاصة الشباب- بات ينهر بكلّ ما يأتيه من الخارج عن طريق ما يتصفّحه من خلال شبكة الانترنت، والإعلام الغربيّ يستهدف في ذلك إشعار العربيّ بالعجز والنقص تجاه الغرب وآلياته المتطوّرة والهائلة.

إنّ البتّ الوافد من الغرب يطمح إلى عرض الحياة الغربيّة بصورة إيجابيّة على جميع المجتمعات الأخرى، والغرض من ذلك هو إيجاد حالة من الإعجاب والانهار، والشّعور بعدم القدرة على المواكبة لدى كلّ فرد

يتعرّض لمشاهدتها، إذ إنّ هذه البرامج تتمتع بقدر من الجاذبية التي من الممكن أن تصرف الفرد عن متابعة البرامج الوطنيّة والتّحمّس لمشاهدة كلّ ما هو عالمي، فتصوّر الحياة الغربية على شكل "مدينة فاضلة" محبّبة لدى الجميع، ولا يوجد هناك من هو قادر على الوصول إلى تلك المستويات، مما يولّد الشّعور بالعجز لتحقيق ذلك. (الله، 2007، صفحة 295).

وأشار كينستون Kinston إلى أن هناك حالات تمرد وعصيان وخروج عن الأعراف والقيم تعبر عن أساليب الرفض لثقافة المجتمع والشعور بالاغتراب، وحدد كينستون صور رفض الهوية الثقافية في بعض السلوكيات منها: إظهار سلوكيات غير مألوفة في ثقافة المجتمع ورفض النظام القيم للمجتمع وعدم الاندماج بالمجتمع. ومن الآثار المترتبة على فقدان الهوية الشخصية أو الثقافية ظهور العديد من السلوكيات غير المقبولة مثل الانسحاب والبعد عن التعامل مع الجماعة، وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية والتمركز حول الذات والانغلاق في دائرة الأهداف والمصالح الشخصية، وأضاف اريكسون Erikson أن هناك ما يسمى بأزمة الهوية Identity Crisis وهي نتاج لفشل الفرد في تحديد هوية معينة، وتشير إلى عدم القدرة على اختيار المستقبل، ومتابعة التعليم، كما تنطوي على الإحساس بالاغتراب وانعدام الهدف واضطراب الشخصية، وهو أيضاً ما يتفق مع ما ذكره كينستون من أن لفقدان الهوية أحياناً واضطرابها وأزمتها أحياناً أخرى أثرها الواضح على شعور الفرد بالعزلة والاغتراب، وينعكس ذلك بالتالي على صحة الفرد النفسية، حيث انحلال الشخصية وصراع القيم وسوء التوافق. (الكحكي، صفحة 05).

ويعتبر مفهوم الانتماء من أكثر المفاهيم انتشاراً في حياتنا اليومية، ويرجع ذلك إلى كون الإنسان يعيش هذا المفهوم في أسرته وعمله وفي علاقته الاجتماعية وحياته اليومية بمجالاتها المختلفة من جوانب سياسية واجتماعية، ولقد تطرق العديد من علماء النفس إلى دراسة مفهوم الانتماء وعلاقته بمتغيرات أخرى عديدة، وسوف نقوم الدراسة لهذا المفهوم بشيء من التوسع لكونه جزءاً أساسياً منها.

مع حلول الألفية الثالثة حظي مفهوم الانتماء والهوية باهتمام علماء النفس والسياسة والاجتماع، ويرجع السبب في هذا الاهتمام إلى التقدم التكنولوجي الهائل الذي يعي شه العالم، خاصة في مجال الاتصالات والمعلومات، ذلك التقدم التكنولوجي الذي جعل العالم بمثابة قرية تكنولوجية واحدة، يخشى فيها تنامي مشاعر الاغتراب، وتلاشي مشاعر الانتماء والهوية السياسية في ضوء تفكك المنظومة الاشتراكية، وفي ظل الهيمنة التامة للنظام الدولي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

إن نظرة على هذا العالم يوصف بأنه متغير تكشف لنا كيف تبرز قضية الانتماء فيه على عدة صعد، وفي مجتمعات كثيرة، نراها على صعيد القطر الواحد في صلب الموضوع الوحدة الوطنية لشعب تتعدد فيه الأجناس أو الأديان أو المذاهب أو الثقافات، ونراها على صعيد الوطن القومي في موضوع الوحدة التي تربط عدة أمم فيما بينها برباط العقيدة والحضارة في موضوع الوحدة القومية، لأنه يضم مجموعة شعوب فيها ذلك التعدد، ونراها على صعيد الدائرة الحضارية الواحدة التي تربط عدة أمم فيما بينها برباط العقيدة والحضارة بين تلك الأمم، ونراها على صعيد الفرد، ونراها على صعيد المجتمع، ونلاحظ ما لاحظته بريجنسكي في كتابه بين عصرين من أن

ثورة الاتصال في عالمنا أنمت الإحساس بالذات والتميز لدى كل مجموعة بشرية مهما صغرت. (شقيقة، 2011، صفحة 34).

وتعقد بالتالي تحديدهم لهويتهم وتفاعلهم مع الواقع، ويعنينا من هذه الظروف فئتان: أولاً، مجموعة الظروف الاجتماعية: الثورة العلمية والتكنولوجية، والنظام الجديد لتقسيم العمل والتخصص الدقيق، والتحول الهام الذي طرأت على النظام الاقتصادي، وما ترتب على ذلك من تغيرات اجتماعية منها الهجرة والتحول من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية الصغيرة، والفئة الأخرى، هي مجموعة الظروف الحضارية: الهوة بين التقدم العلمي والتقني من جهة والتطور القيمي من جهة أخرى، وحدث فجوة بين الأنساق القيمة والسلوكية للكبار وتلك التي يأخذ بها جيل الشباب (عزت، 1985، الصفحات 08-15).

إن علاقة الشباب العربي ببعض التنظيمات الاجتماعية والشبابية التي يجربون حظهم معها أو يجدون أنفسهم مضطرين إلى الانضمام إليها أو التعامل معها، كالتنظيمات السياسية، وجمعيات العمل الاجتماعي، والاتحادات الطلابية، ومنظمات الشباب، أقل ما يقال عليها أنها علاقة غير صحية تعطي الشباب إحساساً بالغرابة، وتدفعهم إلى أن يقفوا منها موقف اللامبالاة، قد يرفضها البعض ويسعى إلى تدميرها، وذلك لأن انتماءهم إليها وعضويتهم فيها، ونشاطهم من خلالها، لا تتميز بتلقائية ورغبة حرة، وإنما تفرض عليهم بنوع من القهر أو التجنيد في بعض الحالات، أو بالترغيب والرشوة في حالات أخرى.

وبعد أن أصبح العالم يعيش في ظل تقنيات الاتصال الجديدة جعلت من العولمة أمر واقعياً، وأصبح الغزو الثقافي حتمياً، وأثر ذلك على الهوية والانتماء الوطني أو القومي علي حد سواء للشباب العربي، ومع التطور السريع لتلك التقنيات، تزايد استمرار تعرض النسيج الثقافي الوطني والقومي للتمزق، ونتج عن ذلك العديد من الآثار على الشباب العربي.

ثالثاً المواطنة البديلة للشباب العربي في زمن الإعلام الجديد

لقد ساهمت شبكة الانترنت في إيجاد إطار جديد للعلاقات الاجتماعية عابرة للحدود حيث احدث ذلك تغييراً في الجماعة الاجتماعية التي تعد مجموعته من الأفراد يجمع بينهم قيم مشتركة وشعور بالانتماء ويدرؤن بالولاء لقيم وتقاليدهم مشتركة، وجعل الانترنت من السهولة في إنشاء تجمعات اجتماعية تتجاوز القيم والمكان ليكون الأساس المشترك بين جماعات مشكلة عبر الفضاء الإلكتروني هو الاهتمام المشترك أو الموقف من قضية ما وبما خلق ما يمكن أن يسمى بالجماعات الإلكترونية، والتي تعبر عن شكل جديد من أشكال التفاعل الإنساني بين العديد من الأفراد في مختلف الدول وينتمون إلى هويات مختلفة ويتواصلون فيما بينهم من خلال الاتصال بالانترنت واستخدام كافة أدوات الرأي والتعبير والاتصال، والتي ساعدت على نقل حركة التفاعلات الاجتماعية على أرض الواقع وجعلت من تلك التفاعلات حدثاً إعلامياً يمكن أن ينتشر عبر وسائل الإعلام ليصبح حدثاً عالمياً بما جعل من قضايا محلية تأخذ بعداً دولياً، وينم التفاعلات التي تتم داخل

التجمعات الالكترونية عن اتصال الكتروني تفاعلي ومتواصل ويضم أفراد متنوعين يشتركون في نفس الأفكار أو الأنشطة وهناك إتاحة لمن يريد المشاركة.

وساهم الانترنت في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية التي تتفاعل بداخلها وتلعب دورا حيويا في تكامل منظومة القيم الثقافية وظهر ذلك في بروز الطابع الالكتروني للثقافة والتي تحولت بدورها إلى رموز داخل الفضاء الالكتروني. وهذا ما جعل جماعات الانترنت لها إطار جديد من التفاعلات الاجتماعية ذات الطابع الدولي وذلك بخروجها من طبيعة الجماعات الاجتماعية التقليدية، وساهمت هذه عوامل في تعظيم ذلك التحول كالانتشار الواسع لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات عالميا وزيادة حجم المستخدمين و بروز العالم كما لو كان قرية صغيرة وبرزت القضايا الدولية بشكل أكثر إلحاحا فيما يتعلق بالأمن الإنساني.

لا يمكن لأحد أن يتناسى دور الشبكات الاجتماعية في الحراك الثوري الذي شهدته المنطقة العربية، ومن قبلها المدونات، حيث أن أعداد مستخدمي الانترنت في العالم العربي تضاعفت ثلاثة مرات تقريبا خلال سبعة أعوام، حيث كان عددهم نحو 58 مليون مستخدم في عام 2009، في حين يقترب العدد الآن من 157 مليون مستخدم، وتضاعف عدد مستخدمي فايسبوك في العالم العربي أكثر من ستة مرات خلال نفس الفترة، فبينما كان عددهم نحو 12 مليون في 2009، أصبح عددهم نحو 78 مليون مستخدم، أي أن نصف مستخدمي الانترنت العرب يشاركون التعليقات ونشر الأخبار على فايسبوك. (وأخرون، 2015، صفحة 03).

الانتماء يعتبر عنصر جوهري وذي ارتباط مفصلي مع المواطنة، فلا يمكن الحديث عن المواطنة الحقيقية دون وجود إحساس بالانتماء إلى الوطن الذي يرتكز على أسس وروابط عاطفية ووجدانية تغذي بجملة من العوامل، من بينها بالدرجة الأولى الإحساس بالانتماء للجماعة ضدا على النزعة الفردية والعزلة، والتي تكرست بفعل عاهات الديمقراطية التمثيلية وقيم الليبرالية التي استطاعت أن تنزع عن الفرد طابعه الاجتماعي، وتختزل كينونته في بعدها المادي جريا وراء المصالح الشخصية، دون إعارة الاهتمام بحاجات المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولعل مسألة التفكير في ترسيم قواعد واليات التشاركية في تدبير شؤون السلطة والحكم، تأتي في سياق تجاوز محن عنصر الانتماء للوطن الذي أصبح في الوقت الراهن يرتهن في كثير من الأحيان بمقدار ما يتحصل عليه الفرد من حاجيات، حتى وان كان ذلك على حساب الآخر، فالمواطنة الرقمية ترسم مشهدا آخر للتألف الاجتماعي بفعل نقاشات الفضاء العام الافتراضي والتفاعل بين أفراد الجماعة المتواجدين عبر هذه العوالم الافتراضية، حيث يكون هناك المشترك في الهموم والمشاكل، وبفعل تضافر الفعل الفردي يتشكل فعلا جماعيا يتعزز باليات التوافق أكثر، مما ينتج عنه الانتماء للجماعة الذي يعتبر المرتكز أيضا في تغذية وتنمية الانتماء للوطن. (الزباني، 2015).

وتتميز التجمعات الالكترونية إلى أنها تجمعات اجتماعية لا ترتبط بمكان محدد ويكون بين تلك التجمعات وسائل للاتصال والتواصل عبر الفضاء الالكتروني، ويكون بني هذه التجمعات أهداف مشتركة أو اهتمامات متشابهة ويكون هناك حرية في الانضمام إلى هذه التجمعات أو الخروج منها أو تجميد الانضمام، وظهر التجمع الالكتروني كتعبير عن حجم التفاعلات التي تحدث داخل الفضاء الالكتروني عبر مستويات اجتماعية

واقتصادية وجغرافية مختلفة، وظهرت ثقافة الكترونية تتميز بأنها تركز على المعرفة الجديدة وأهمية المعلومات ، وتتميز بان لها معايير أخلاقية جديدة ومؤسسات ثقافية وتعتمد على الإبداع والابتكار وظهور إعلام جديد وعلاقات اجتماعية جديدة وموازين للقوة جديدة واليات متعددة (طه، 2007، الصفحات 45-50).

ومع بروز تلك التجمعات الالكترونية ظهر الفاعلين داخل تلك التجمعات فيما يطلق عليه نشطاء الانترنت وهو أفراد الذي لديهم مشاركات الكترونية نشطة على مستويات متعددة، وهم الأشخاص الذين يبدون أكثر ميلا من غيرهم في نتاج مبادرات ذات صلة بما يجري من حولهم من تفاعلات في كافة مناحي الحياة أو بعض منها وما يتصل بها من قضايا ذات صلة بمجتمعهم أو وطنهم تجاه العالم وقد تكون تلك المبادرات قولية أو عملية وترتبط بالواقع وتتحرك الكترونيا عبر الفضاء الالكتروني. وكتسب ذلك أهميته من حالة التفكك التي تعانيها بعض المجتمعات نتيجة بعض المشكلات ومع حالة العجز التي تعانيها مؤسسات الدولة في مواكبة المطالب المتزايدة لمواطنيها. مع حالة الانفتاح بين ما هو محلي وما هو عالمي وما هو ممكن تحقيقه وما لا يمكن تحقيقه.

يلعب فيسبوك دوراً محورياً في تشكيل الكتلة الشبابية، لتؤسس ما يمكن أن يسمى بشعب "فيسبوك" حيث تتأسس جماعة الكترونية، يشارك فيها الشباب الذين ينتمون إلى مجتمعات مختلفة، وإلى أعمار مختلفة نسبياً وإن كان داخل الحدود الشبابية، وبرغم قيام هذه الوحدة الشبابية ذات الطابع العالمي، إلى أن البعد القومي ما زال قائماً. إذ يتميز شعب "فيسبوك" بكونه - كما أشرت - من حيث كونه يتشكل في غالبية من أبناء الطبقة الوسطى، الذين اتسعت مساحة الاحتجاج الاجتماعي لديهم تارة بسبب ارتفاع الأسعار، أو مظاهر الأزمات الأخرى التي تعاني منها الطبقة الوسطى. وتارة بسبب أشكال التعذيب في المعتقلات، حينما يحاول أبناء هذه الطبقة لاحتجاج بسبب سوء ظروفها وأوضاعها، أو بسبب تراجع الأوضاع الاجتماعية في مصر مقارنة بالفترة الاشتراكية السابقة التي ازدهرت فيها أوضاع الطبقة الوسطى، وذلك باعتبار أن الطبقة الوسطى هي الطبقة التي يتولى أبناؤها عادة التعبير عن الصوت المكتوم للمجتمع. ويساعد في تشكيل هذه الكتلة الشبابية، أن جميع الشباب يدخلون إلى موقع "فيسبوك" متخلين تماماً عن تحيزاتهم الواقعية الإثنية، إذ لا يلعب الانتماء العرقي أو الطبقي دوراً يذكر في الدخول والمشاركة في تفاعلات الموقع. فالمرهقون الفقراء السود يرغبون مثل بعض المرهقين البيض من الطبقات الأغنى في الالتحاق بالموقع، على الرغم من أن ما يمارسونه على الموقع يتأثر بطبيعة الحال بخلفاتهم الاجتماعية (ليلة، 2009، الصفحات 14-15).

و يظهر رفض الشباب للمجتمع الواقعي إلى عنصرين، الأول بعد وجودي، ويتمثل في أن الشباب بحكم طبيعته ونظيرته المستقبلية غير قادر على التكيف الكامل مع المجتمع الواقعي في الحاضر، فهو دائماً ينشد ما هو مثالي ويرفض ما هو واقعي وسليبي، أما الثاني فيتمثل في أن واقع مجتمعاتنا متخم في العادة بالمشاكل التي تكون لها وطأتها الأكبر على الشباب. والقطيعة مع المجتمع الواقعي تبدأ من عجزه عن إشباع الحاجات الأساسية للشباب، كالحاجة إلى الوظيفة للمشاركة في سوق العمل. والحاجة إلى الدخل لإشباع الحاجات الأساسية والحصول على

فرصة مسكن وتشكيل أسرة، حيث يدرك الشباب أن رفاقهم الأكبر سنا منهم، ما ازلوا يعانون من حالة الإحباط هذه. ومن ثم تتبلور لديهم حالة من القطيعة السيكولوجية مبكراً مع المجتمع. بالإضافة إلى ذلك يعاني الشباب من مشكلات الفراغ والتغيب والخضوع والتهميش وحرمانه من المشاركة في مختلف المجالات، الأمر الذي يجعل الهروب إلى المجتمع الافتراضي فرض عين أو فرض حياة بالنسبة للشباب. (ليلة، 2009، الصفحات 25-26)

خاتمة

ومن هذا المنطلق يمكننا القول أيضاً بأن مواقع التواصل الاجتماعي خاصة فايسبوك قد أسهمت في رفع مستوى الوعي للمشاركة السياسية لدى الشعوب وبصورة أكبر لدى الشباب، وأبرزت قيماً جديدة منها الايجابي لعل أهمها القبول بالآخر في تنوعه واختلافه وتباينه مادامت المطالب موحدة والمصير مشترك، خاصة إذا كان هناك توظيف مثالي من قبل الحكومات والمجتمع المدني يسمح بالانتقال من الركود إلى الوعي، ما يساهم في تغيير شكل الأنظمة والمجتمع المدني، أما القيم التي يمكن وصفها بالسلبية فتظهر في الطرق التي يتم التعامل بها مع هذه التقنيات الجديدة وذلك بالاستجابة والقابلية للانغماس في القيم والمخرجات التي تأتي من العالم الغربي، من خلال ذلك تظهر عديد المشكلات في العالم العربي سواء كانت مشكلات مرتبطة بالجانب الوظيفي أو الجانب البنائي، وقد يؤدي وجودها في مواقع التواصل الاجتماعي إلى تغيير مفاهيم الانتماء والمواطنة ومحاولة التمرد على القيم المجتمعية كما هو حاصل لدى الكثير من الشباب العربي اليوم.

الإحالات والمراجع:

1. أبو سنينة علي عبد الله. (2007). تأثير القنوات الفضائية على القيم العربية والإسلامية لدى الشَّبَاب والأطفال. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم (15)، صفحة 295.
2. باسل البياتي. (2001). فضائيات الثقافة الرائدة وسلطة الصورة. مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2001، ص 116 ، ، 267، صفحة 116.
3. جمال عيد وآخرون. (2015). لف وارجع تاني. الإنترنت في العالم العربي. القاهرة: الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان.
4. حجازي، عزت. (1985). الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها. الكويت: عالم المعرفة.
5. حسام الدين حسن حمدونه. : تصور مقترح لتوظيف ثقافة التغيير السياسي لتعزيز قيم الانتماء الوطني لدى الحركة الطلابية في ضوء الثورات العربية الربيع العربي، المؤتمر الدولي الأول لعمادة شئون الطلبة- طلبة الجامعات الواقع والآمال الجزء الأول . الجامعة الاسلامية.
6. حسام الدين حسن حمدونه. (بلا تاريخ). تصور مقترح لتوظيف ثقافة التغيير السياسي لتعزيز قيم الانتماء الوطني لدى الحركة الطلابية في ضوء الثورات العربية الربيع العربي. الجامعة الاسلامية.
7. حسام الدين حسن حمدونه. (- 12-13 فيفري 2013). تصور مقترح لتوظيف ثقافة التغيير السياسي لتعزيز قيم الانتماء الوطني لدى الحركة الطلابية في ضوء الثورات العربية الربيع العربي. المؤتمر الدولي الأول لعمادة شئون الطلبة- طلبة الجامعات الواقع والآمال الجزء الأول الجامعة الاسلامية. غزة: الجامعة الإسلامية غزة.